من رَذائلِ المنافقين

● **الغاية من الخطبة** : فضحُ المنافقين وبيانُ رذائلِهم وآثامهم والتحذير منهم .

● **العناصر الأساسية** :

(١) الكذب والرياء والنفاق . المنافقون :(يُظهِرون الإيمان ، ويضمرون الكفر) .

(٢) مرتدُّون : آمنوا ثم كفروا .

(٣) يبخلون ويأمرون الناس بالبخل .

(٤) مفسدون في الأرض .

(٥) ناكثون للعهود والوعود .

(٦) خائنون للأمانة .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- النفاقُ خطرٌ عظيمٌ ، على الفردِ والأسرةِ والمجتمعِ . ولذلك هو محرَّمٌ تحريماً باتاً في الإسلامِ . وهو منتشرٌ هذه الأيامَ كالوباءِ . وعلينا أن نعرفَ صفاتِ المنافقِ كما بيَّنها القرآنُ الكريمُ والحديثُ الشريفُ ، لكي نتجنَّبَها ، ولكي نفضَحَ المنافقين الذين يُقابلوننا في مجالاتِ العملِ المختلفةِ ، ونحمي أنفسَنا من شرورهِم . ولعل أول رذائلِهم : الكذبُ . ورذيلةُ الكذبِ تجمعُ في داخلِها رذائلَ عديدةً ، من أصنافِ الرِّياءِ والنفاقِ والبُهتانِ العظيمِ . وقد وصَفهم اللهُ تعالى في سورةٍ سَمَّاها «سورةُ المنافقون» فقالَ ﷻ ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۘ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴾ (المنافقون:١) فقد كانوا يأتون رسولَ اللهِ ﷺ ويقولون له : نَشهدُ إنك لرَسولُ اللهِ ، يقولونَها بألسنتِهم فقط ، وهم في قلوبِهم لا يشهدون له بالرسالةِ . ولذلك شهِدَ اللهُ تعالى بأنهم كاذبون على الرغمِ من أنهم قالوا الحقيقة ! فالصدقُ هو أن يقولَ

الإنسانُ ما يؤمنُ به في قلبِه وضميرِه ، فيكونُ سِرُّه وعَلانيَتُه سواءً . والمنافقون لا يقولون ما يؤمنون به في قلوبِهم ، بل يقولون ما لا يؤمنون به ، فلا يتفقُ باطنُ المنافقِ مع ظاهِرِه أبداً . وهم يُظهرون الإيمانَ ليَحْتموا فيه ويتستَّروا وراءَه ، فلا يَكشِفهم المسلمون ، وبذلك يتمكَّنون من الصَّدِّ عن سبيلِ اللهِ وإبْعادِ المسلمين عن دينِهم . والمسلمون يظنون أن المنافقين مسلمين ، فيُصدِّقون أكاذيبَهم . وفي عَهدِ رسولِ اللهِ ﷺ تسبَّبوا في كثيرٍ من المشكلاتِ والأذَى للنبيِّ ﷺ والمسلمين . من ذلك على سبيلِ المثالِ خروجُهم للقتالِ إلى جانبِ المسلمين يومَ «أُحُد» ثم انسحابهم وإرْباكُ الخططِ الحربيةِ ، وما يمكن أن تؤدِّي إليه من اضطرابٍ وهزيمةٍ . وهذا هو الرياءُ الذي قالَ رسولُ اللهِ عنه إن «يسيرَه كُفْر»، وهو النفاقُ في الدينِ ، أي إظهارُ الإيمانِ وإضْمارُ الكفرِ ! وأما الكذبُ الذي يُخفي المعلوماتِ والأخبارَ ويُذيعُ عكسها بينَ الناسِ فهو أقلُّ فُحْشاً من النفاقِ في الدينِ .

٢- والنفاقُ في الدين بعد إسلامٍ يُعتبَرُ ردَّة . والحقُّ تباركَ وتعالى يقولُ فيهم ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون:٣) إنهم عرفوا التوحيدَ ، وصلُّوا مع المسلمين ، وسَمعوا القرآنَ الكريمَ يُتلَى عليهم ، وبعد ذلك كفروا باللهِ ورسولِه في قلوبِهم ، مع التظاهرِ بالإيمانِ . فهم مُرتدُّون . وهم أسوأُ من الكفارِ الذين لم يعرفوا الإسلامَ ، ويُعلِنون كفرَهم صراحةً على الجميعِ . لكنهم يختلطون بالمسلمين الذين يحكمون بالظاهرِ ، ويعرفون الكثيرَ عنهم ، وقد ينقلون ما يسمعون إلى الأعداءِ . ولذلك حَذَّرَ القرآنُ المسلمين منهم وقالَ ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾ (المنافقون:٤) إنهم يُحسِنون الكلامَ ، ويقولون الأقوالَ التي تُعجبُ المسلمين ، وهم يُضمِرون الكراهيةَ لهم وللإسلام . وفي هذا يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ (البقرة:٢٠٤-٢٠٦) ويقولُ أيضاً ﴿ وَإِذَا

رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ . . . ﴾ (المنافقون:٤) وبالكلامِ المعسولِ يخدعون المسلمين !

٣- والمنافقون في عهدِ النبي ﷺ رفضوا الإسهامَ في نفقاتِ الجهادِ ، وحرَّضوا غيرَهم على عدَمِ الإنفاقِ في سبيلِ اللهِ ، لكي يتفرقَ المسلمون ويَبتعِدوا عن نبيِّهم . فيقولُ اللهُ تعالى في وَصْفِهم ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ (المنافقون:٧) وهذا الموقفُ ناتجٌ عن كفرِهم باللهِ تعالى وبالبَعثِ والحسابِ والثوابِ والعقابِ . والمنافقون يفعلون هذا في كلِّ عصرٍ ، وهم يفعلون الشيءَ نفسَه في هذا العصرِ ، فلا ينفِقون شيئاً في سبيلِ اللهِ لكيْ تفشلَ المشروعاتُ الخيريةُ الإسلاميةُ . أما المؤمنون فينفقون لكي ينالوا ثوابَ اللهِ تعالى في الآخرةِ ، ويحثُّون غيرَهم على الإنفاقِ والصدقاتِ والتبرعاتِ .

٤- والمنافقون مُفسِدون في الأرضِ . والفسادُ يشملُ عدداً كبيراً من الأعمال الضارةِ السيئةِ المُخرِّبةِ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۝ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾ (البقرة:١١،١٢) فهم مُفسِدون ، ولكنهم لا يشعرون بحقيقةِ أنفسِهم وفسادِهم ، ويظنون أنهم مصلحون . ولذلك لا يقبلون النصيحةَ . وهذا من غَضبِ اللهِ عليهم . أما المؤمنون المُخلصون فلا يُفسِدون في الأرضِ؛ وإذا وقعَ منهم فسادٌ على سبيلِ الخطأِ أو الجهلِ ، وبيَّنَ لهم إخوانُهم ذلك الخطأَ ، رَجعُوا عنه واعتذروا عن فِعْلِه ، واستغفروا اللهَ تعالى ، وشكروا إخوانَهم الذين نصَحوهم . وهكذا يجبُ علينا جميعاً تقَبُّلُ النصيحةِ وشكرُ مَن يَنصحَنا .

٥- والمنافقون ناكِثون لعهودِهم ووعودِهم . فلا يعرفون الوفاءَ بالعهدِ والرسولُ ﷺ يقولُ : « آيةُ المنافقِ ثلاثٌ : إذا حدَّثَ كذِبَ ، وإذا وعدَ أخلَفَ وإذا ائتُمِنَ خَانَ». و« آيةُ المنافق» هنا تعني العلامةَ الدالَّةَ عليه . فلْيَحْذَرِ المسلمُ هذه

المعاصي ، حتى لا يتورَّطَ في صِفاتِ المنافقين . ومن المحزنِ حقاً شُيوعُ نَكْثِ الوَعدِ بين المسلمين هذه الأيامَ شيوعاً وَبائياً ! وبعضُ المسلمين لا يشعرُ بالإثمِ من نَكثِ الوعدِ ولا يعتذرُ عنه . وهذه مصيبة كبرى . إن هذا البعض يشاركُ المنافقين في أحَطِّ صِفاتِهم ، وهو غافلٌ عمَّا يفعلُ ! فلْيُراجعْ كلُّ مسلمٍ نفسَه بدقةٍ وحَزْمٍ لكي يتخلصَ من صفاتِ المنافقين الذين قالَ عنهم القرآنُ الكريمُ إنهم ﴿ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ (النساء:١٤٥) وهذا وعيدٌ شديدٌ للمنافقين ، وفي الوقتِ نفسِه هو إنذارٌ وتحذيرٌ للمسلمين من نَكْثِ الوعودِ والكذبِ والخيانةِ وسائرِ صِفاتِ المنافقين ورَذائلِهم .

٦- والمنافقون خائنون للأمانةِ ، كما جاءَ في حديثِ النبيِّ السالفِ الذكْرِ . والمؤمنون على العكسِ من ذلك إذا وُضِعَتْ الأماناتُ بين أيديهم أدَّوْها كما يجبُ . لكننا نقرأُ في الصحفِ كلَّ يومٍ قصصاً مُحزنةً عن الخوَنةِ الذين يُكلَّفون بحفظِ الأموالِ فلا يحفظونها ، بل يستولون على مبالغَ كبيرةٍ منها ، ثم يهربون إلى خارجِ البلادِ . ونقرأُ عن الأوصياءِ الذين يتولون إدارةَ أموالِ الأيتامِ فيخونونهم . وفي القطاعِ الخاصِّ تقعُ الخياناتُ من الموظفين المؤتمنين على المعدَّاتِ والبضائعِ والأموالِ ، وتسبِّبُ الخرابَ لأصحابِ الشركاتِ والمحلاتِ والمصانعِ . والنتيجةُ ضارةٌ جداً بالمجتمعِ المسلمِ . نسألُ اللهَ تعالى أن يحمِيَنا من النفاقِ وأمراضِه وأعْراضِه ونتائجِه : من الكذبِ والرياءِ والرِّدَةِ ، والبُخلِ والفسادِ ونَكْثِ الوعودِ وخيانةِ الأمانةِ . ونسألُه سبحانه أن يرزقَنا الصدقَ والإخلاصَ واليقينَ والإصلاحَ واحترامَ الوعودِ وأداءَ الأماناتِ ، آمين .

(الدعاء)

ذِكْرُ اللهِ تعالى

● **الغاية من الخطبة** : تصحيح فهم المصلين لحقيقة ذكر الله تعالى كما جاء في الكتاب والسُّنة .

● **العناصر الأساسية** :

(١) الذكر هو : التفكُّر في آيات الله تعالى في الكون .

(٢) الذكر هو : مراقبة الله تعالى في كلِّ أعمالنا .

(٣) الذكر هو : طاعة الله تعالى .

(٤) وصلاة الجمعة ذكرٌ لله تعالى .

(٥) وشعائر الحجِّ ذكرٌ لله تعالى .

(٦) وتعلُّم الدين وتعليمه ذكرٌ لله تعالى .

(٧) والإنفاق في سبيل الله ذكرٌ لله تعالى .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- نحن في حاجةٍ إلى معرفةِ ذكرِ اللهِ تعالى معرفةً صحيحةً تتفقُ مع ما جاءَ في كتابِ اللهِ وسُنةِ رسولِه ﷺ ، فالظاهرُ أننا لا نعرفُ ذِكرَ اللهِ كما يجبُ . يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران:١٩٠،١٩١) في هاتيْن الآيتيْن الكريمتيْن الذكرُ هو التفكُّر في خَلقِ السماواتِ والأرضِ ، واختلافِ الليلِ والنهارِ ، والمداومةُ على ذلك في كلِّ الأحوالِ . ومع كَثرةِ التفكرِ في هذه الآياتِ الكونيةِ ، يدركُ المؤمنُ الذاكرُ أن

اللهَ تعالى لم يخلُقْها باطلاً ، وإنما لِحِكَمٍ عظيمةٍ ، فهي تدلُّ على عَظمةِ خالِقِها ومُدبِّرِها ومُسيِّرِها ﷻ . وإذا أدركَ المؤمنُ هذه الحقيقةَ الكبرى ، قَوِيَ إيمانُه وازْدادَ يقينُه ، وأدركَ عَظمةَ ربِّه ؛ وعندئذٍ يُقلِعُ عن المعاصي ، ويُقبِلُ على الطاعـاتِ ، سائلاً ربَّه أن يَقِيَهُ عذابَ النارِ . وهكذا نفهمُ الذكرَ فهْماً قرآنياً صحيحاً ، ونعرفُ فائدتَه الكبرى ، وهي : تقويةُ الإيمان التي تُؤَدِّي إلى إبعادِنا عن المعاصي والآثامِ وتدفَعُنا إلى عملِ الطاعاتِ وإتْيانِ الصالحاتِ ﴿ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ (النساء:١٣) فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ واذكروه الذكرَ الصحيحَ الذي يقوِّي إيمانَكم ويقرِّبَكم من خَالِقكم ، ويُعطيكم الأملَ الكبيرَ في الفوزِ بمَرْضَاتِه تعالى ، في الدنيا والآخرةِ . ولْنكُفَّ عن الغَفلةِ عن التفكُّرِ في خَلقِ السماواتِ والأرضِ ، واختلافِ الليلِ والنهارِ فلا تُلْهِينا الدنيا بزخارِفِها وتستوْلي على عقولِنا ، فلا نتفكَّرُ ولا نتَدبَّرُ ، فيَضعُفُ إيمانُنا وتكثُرُ مَعاصينا والعياذُ باللهِ .

٢- ويُعلمنا القرآنُ الكريمُ أن ذكرَ اللهِ تعالى هو : مراقبَةُ اللهِ تعالى في كلِّ أعمالِنا ، بحيث نأتي ما أحلَّهُ لنا ونتجنبُ ما حرَّمَه علينا ، في أعمالِنا وأقوالِنا ، وأفكارِنا ، وكلِّ مواقفِنا . وفي هذا يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (الجمعة:١٠) فبعدَ صلاةِ الجُمعةِ يُبيحُ لنا ربُّنا ﷻ الانتشارَ في الأرضِ للعملِ وكَسْبِ الرزقِ ، مع مراقبةِ اللهِ وذِكرِهِ في كلِّ عملٍ ، يعني تحرِّي الحلالَ والحرامَ ، وإتْيانَ الحلالَ والابتعادَ عن الحرامِ ، لكي نفلحَ في الدنيا والآخرةِ . وهكذا نتعلَّمُ أن ذكرَ اللهِ تعالى ليس قاصراً على المسجدِ فقط ، أو في الصلاةِ وحدَها ، بل في كلِّ وقتٍ ، في بيوتِنا ومتاجِـرِنا ومكاتِبِنا وأسواقِنا . فهذا الذِكرُ من النوعِ الإسلاميِّ القرآنيِّ الذي لا ينتبهُ إليه إلا قليلٌ من الناسِ . فاسْـألوا اللهَ تعالى التوفيقَ فيه .

٣- وذكرُ اللهِ تعالى يعني طاعتَه سبحانه . وفي هذا يقولُ المصطفى ﷺ : « مَن أطاعَ اللهَ فقد ذكرَ اللهَ ، وإنْ أقلَّ صلاتَه (يعني من النَّفلِ) ، وصَومَه (يعني صيامَ التطوع) وصَنيعَهُ للخَيْرِ ». فكلُّ طاعةٍ للهِ هي ذِكرٌ للهِ ، وكلُّ معصيةٍ للهِ هي نسيانٌ

وغَفْلةٌ عن ذِكرِ اللهِ تعالى ، وَقانا اللهُ تعالى شرَّ الغَفْلاتِ والمعاصي ، وجعلَنا من الذاكرين غيرِ الغافلين الذين قالَ فيهم ﴿ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (الأعراف:١٧٩).

٤- وإذا كانت كلُّ طاعةٍ ذِكراً للهِ تعالى ، كانت الصلاةُ ذِكراً ، وكان الحَجُّ ذِكراً ، وكان الإنفاقُ في سبيلِ اللهِ ذِكراً للهِ تعالى . وهذه المعاني لذِكرِ اللهِ تؤكدها آياتٌ كريماتٌ في كتابِ اللهِ تعالى . من ذلك مثلاً قولُه ﷻ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (الجمعة:٩) فصلاةُ الجمعةِ ذِكرٌ للهِ ؛ وصلاةُ الجُمعةِ وخطبةُ الجُمعةِ يَصْدُقُ عليهما القولُ بأنهما ذِكرٌ للهِ . وقد مَرَّ بنا حديثُ رسولِ اللهِ ﷺ القائلُ : «مَن أطاعَ اللهَ فقد ذَكرَ اللهَ». فلا يظُنَّنَّ أحَدٌ أن خُطبةَ الجُمعةِ هي وَحدَها الذكرُ ، فذلك ظنٌّ لا أساسَ له .

٥- وأداءُ شعائرِ الحجِّ ذِكرٌ للهِ تعالى . يقولُ ﷻ ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ (البقرة:١٩٨-٢٠٠) في هذه الآياتِ الكريماتِ وَردَ لفظُ الذِّكرِ خمسَ مراتٍ بصِيَغٍ مختلفةٍ : ثلاثَ مراتٍ في صيغةِ الأمرِ؛ وفي صيغةِ الاسمِ مرتين . إن اللهَ تعالى يأمرُنا بذكرِه عند المَشْعَرِ الحرامِ ، وهو المعروفُ باسْمِ «المُزْدَلِفَةِ». وقد علَّمَنا رسولُ اللهِ ﷺ أن الذِكرَ عند المَشعَرِ الحرامِ هو صلاةُ المغربِ والعِشاءِ جَمْعاً ، وهو الدعاءُ والتَّلْبِيَةُ والمَبيتُ هناك . وبعدَ قضاءِ كلِّ مَنْسَكٍ من المناسِكِ يجبُ ذكرُ اللهِ تعالى ، بشكرِه وحَمدِه والثناءِ عليه أنْ أعانَ العبدَ على أداءِ المناسكِ . وأداءُ المناسكِ نفسِها ذكرٌ للهِ تعالى ، لأنها طاعةٌ ، وكلُّ طاعةٍ ذكرٌ للهِ . وتفسيرُ الآيةِ الكريمةِ يحتملُ هذه المعاني . وهكذا يُمكنُ القولُ إنَّ شعائرَ الحجِّ كلُّها ذكرٌ للهِ ﷻ .

٦- والجُلوسُ في المساجدِ والمدارسِ لتعليمِ الدينِ ذكرٌ للهِ تعالى . والرسولُ ﷺ يقولُ : «ما جلسَ قوم مَجلِساً ، يذكرون الله ﷻ ، إلا حَفَّتْ بهم الملائكةُ وغَشِيَتْهم الرحمةُ وذكرَهم اللهُ فيمَن عِنده». وهذا الحديثُ بَيانٌ لقولِ اللهِ تعالى ﴿ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ (البقرة:١٥٢) وذِكرُ اللهِ طِبْقاً لحديثِ رسولِ اللهِ ﷺ هو مُذاكرَةُ القرآنِ الكريمِ والسُّنةِ الشريفةِ وما يتضمنانِ من عقائدِ وشرائعَ وأخلاقياتٍ . وقد رُويَ عن أبي هريرة ﷺ أنه ذهبَ إلى السوقِ فوجدَ الناسَ يتزاحمون فيه وقد أقبلُوا على البيعِ والشراءِ إقبالاً كبيراً فقالَ لهم : أنتم هنا في السوقِ وميراثُ النبيِّ ﷺ يُقسَّمُ في المسجدِ ؟ ! وعندئذٍ تركَ بعضُهم السوقَ وأسرعَ إلى المسجدِ ، فوجدوا بعضَ الشيوخِ يُعلِّمون القرآنَ والسُّنةَ لبعضِ التلاميذِ . فرجعُوا إلى أبي هريرةَ، وقالوا: ما وجدنا شيئاً سِوى شيوخٍ يعلِّمون الصبيان القرآنَ والحديثَ . فقالَ لهم : ذلك هو ميراثُ رسولِ اللهِ ﷺ . ومن المؤسفِ أننا هذه الأيامَ مُعرضُون عن تعلُّمِ الإسلامِ وعن دروسِ الدينِ ، ومشغولون بألوانٍ عديدةٍ من مَشاغِلِ الدنيا ومَلاهيَها ولهوها ، بطريقةٍ غيرِ متوازنةٍ . والمفروض أن نوزِّعَ أوقاتَنا توزيعاً متوازناً بحيث يكون هناك وقتٌ للقراءةِ والتعلُّمِ المستمرِّ .

٧- والإنفاقُ في سبيلِ اللهِ ذِكرٌ للهِ تعالى : فإيتاءُ الزكاةِ ذِكرٌ ، والتبرعاتُ ذِكرٌ؛ واللهُ تعالى يقولُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ ﴾ (المنافقون:٩،١٠) وهذا النوعُ من ذِكرِ اللهِ في غايةِ الأهميةِ . ومن المُحزنِ حقاً أننا لا نكادُ نُمارسُه إلا مَن رحِمَ اللهُ ! وهكذا نتبيَّنُ حقيقةَ ذِكرِ اللهِ . إنها ليست مُجرَّدَ ترديدٍ لاسمِ اللهِ بل تشملُ التفكُّرَ ومراقبةَ اللهِ وطاعتِه ، كما تشملُ الصلاةَ والحجَّ وتعلُّمَ الدينِ وتعليمِه ، والإنفاقَ في سبيلِ اللهِ ، وكلَّ طاعةٍ له ﷻ .

(الدعاء)

إصلاحُ ذَاتِ البَـيْن

● **الغاية من الخطبة** : حث الناس على ممارسة إصلاح ذاتِ البَـيْن ، ونَـبْذِ السلبية وإفساد ذاتِ البَيْن .

● **العناصر الأساسية** :

(١) وجوب الإصلاح بين الناس في الكتاب والسُّنة .
(٢) ثواب الإصلاح بين الناس .
(٣) إثم المفسدين لذاتِ البَيْن .
(٤) مجالات الإصلاح بين الناس .
(٥) سُننُ النبي المصلح ﷺ : جَوازُ الكذبِ من أجلِ الإصلاح .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

١- يعلِّمُنا القرآنُ الكريمُ وُجوبَ الإصلاحِ بين الناسِ ، فيقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ . . . وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴾ (النساء:٣٥) هذا عن الإصلاحِ بين الأزواجِ . فواجبُ المسلمِ المبادرةُ إلى الإصلاحِ بينهما حين يشعرُ بإمكانِ الشِّـقاقِ بينهما ، ولا ينتظرُ حتى يتمَّ الشِّقاقُ فعلاً . وما أكثرَ الخلافاتِ الزوجيةِ اليومَ ، وما أكثرَ الفشلَ الذي يُؤدِّي إلى التعاسةِ والطلاقِ وانهيارِ الأُسَرِ ، وضياعِ الأولادِ . والناسُ من حولِ الأُسَرةِ ساكنون سلبيُّون ، كأنما دينُهم لم يُكلِّفْهم بعملِ أيِّ شيءٍ ! والقرآنُ الكريمُ يُحرِّضُنا على الإصلاحِ بين الناسِ ويَعِدُنا الثوابَ والأجْرَ العظيمَ ويقولُ ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:١١٤) وذلك بسببِ أهميةِ إصلاحِ ذاتِ البيْن للمجتمعِ

المسلم وللأسرةِ المسلمةِ . ويقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات:٩) فإذا نحن تقاعسْنا عن أداءِ هذا الواجبِ العظيمِ تفاقَمَ الخلافُ واستَعَرَ القتالُ بين الفئاتِ المؤمنةِ ، وضاعَ السِّلْمُ والاستقرارُ والأمنُ من المجتمعِ المسلمِ ، وربما تفككَ المجتمعُ وانقسمَ إلى قبائلَ متناحِرَةٍ . وقد نبهنا رسولُ اللهِ ﷺ إلى خطورةِ فسادِ ذاتِ البيْن فقالَ إنَّ : « فسادَ ذاتِ البيْن هي الحالِقة ». يعني هي المُهلِكةُ المُخرِّبةُ .

٢- والإصلاحُ بين الناسِ ثوابُه عظيمٌ ، لأنه مُبادرَةٌ إسلاميةٌ اجتماعيةٌ إنسانيةٌ تدلُّ على أن الرجلَ لديه غَيرَةٌ على الحقِّ ولديْهِ مَحبَّةٌ لإخوانِه ، وليس سلبياً . وهو يتكلَّفُ الجُهدَ الكبيرَ والمشقةَ والأذى أحياناً في سبيلِ الإصلاحِ بين المسلمين . فيقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾(النساء:١١٤) وهذا وَعدٌ عظيمٌ من رَبِّ العالمين . والرسولُ ﷺ هو الأُسوةُ الحسَنةُ لنا في هذا . فقد كان يَهتمُّ بهذا الواجبِ العظيمِ ، حتى إنه ذاتَ يوم تأخَّرَ عن الصلاةِ لانشِغالِه بالإصلاحِ بين جماعةٍ من «بَني عمرو بن عَوفٍ». فأذَّنَ بلالٌ ﷺ ، وتقدَّمَ أبو بكرٍ الصديقُ ﷺ وصلَّى بالناسِ .

٣- وهناك بعضُ الناسِ الذين لا يُصلِحون ذاتَ البَيْن ؛ وربما يقفُ بعضُ الناسِ متفرِّجين ، ويقولُ الواحدُ منهم : «وأنا مالي !» بل إن بعضَ الناسِ يتورطُ في إثمِ الإفسَادِ بين الناسِ ، عن طريقِ نَقْلِ الكلامِ والأخبارِ الكاذبةِ ، لإثارةِ غَضبِ الشريكِ مِن شَريكِه أو الأخِ مِن أخيه أو الرجلِ من زوجتِه ، وتخريبِ العلاقاتِ بينهم . والرسولُ ﷺ يقولُ : «مَن أفسَدَ امرأةً على زَوجِها فليس هو مِنَّا». ويقولُ ﷺ :«ألا أُخبرُكم بشِراركم ؟ المَشَّاءُون بالنميمةِ ، المُفسِدون بين الأحِبَّةِ». وبعضُ الناسِ ، خاصةً النساءُ ، يُفسِدْن بين الأولادِ وأبيهِم أو بين البنتِ وزوجِها

أو بين الابن وزوجتِه ، دون إحساسٍ بالجُرْمِ . إن الأمَّ الجاهلةَ تفسدُ حياةَ أولادِها بحماقَتِها وجهلِها وهى تظنُ أنها تعملُ لمصلحتِهم ! ! وبعضُ الآباءِ يقعون في الإفسادِ بين أولادِهم أيضاً . فالأبُ غيرُ الحكيمِ يفضلُ ولداً على آخرَ ، أو بنتاً على أخرى ، وبذلك يزرعُ بذورَ الجَفوَةِ والكراهيةِ بين أولادِه . أما الرجلُ الحكيمُ فيُسوِّي بين أولادِه في كلِّ شيءٍ ، حتى لو كان في قلبِه يُفضِّلُ أحدَهم على إخوَتِه وإخوانِه . **وبصفةٍ عامةٍ الناسُ ثلاثةُ أصناف : مُصلحٌ ، وسَلبيٌّ ، ومُفسدٌ بين الناسِ . وعلى كلِّ واحـدٍ مـنا أن يختارَ الصِّنفَ الذي يضعُ نفسَه فيه . والمسلـمُ الصالحُ لا يمكنُ أن يَرضَى لنفسِه أن يُحشَرَ بين السلبيين الذيـن لا يهتمُّون بأمْرِ المسلمين ، أو بين المفسدين الأشرارِ كما وصفَهم رسولُ اللهِ ﷺ** في الحديثِ الذي أخرجَه الإمامُ أحمد وذكرْتُه منذ قليلٍ . فتدبَّروا أحوالَكم أيها المسلمون وراجِعوا مَواقفَكم لتتأكدوا أنكم من أهلِ الإصلاحِ بَيْن الناسِ .

٤- والإصلاحُ بَيْن الناسِ مَجالاتُه الشرعيةُ عديدةٌ وواسعةٌ . فبوُسْعِكَ أيها المسلمُ أن تُصلحَ بين زُملائك في العملِ ، وبين جيرانِك في المسْكنِ وبين أصدقائِك وأقاربِك . وأمامَك الإصلاحُ بَيْن الأزواجِ والزوجاتِ ، وماأكثر الخلافاتِ هذه الأيامِ بَيْن الناسِ ؛ وهناك الإصلاحُ بَيْن المتخاصمين بسببِ المسائلِ الماليةِ ، أو تقسيمِ التَّركاتِ بين الوَرَثَةِ . وحتى القِصاصُ في الجروحِ والقتْلِ غيرِ العَمْدِ جائزٌ فيه الصُّلحُ على مالٍ يدفعُه الجَاني إلى المجنيِّ عليه . ويُذكَرُ أن «الربيع» - عمة أنَسٍ خادمِ النبيِّ - كَسَرَتْ ثَنيَّةَ جاريةٍ ، فقضَى النبيُّ ﷺ بالقِصاصِ منها . لكنَّ الجاريةَ قَبِلَتْ الصلحَ مقابلَ بعضِ المالِ أخذَتْه من «الربيع». وبصفةٍ عامةٍ ، الصلحُ جائزٌ شرعاً في كلِّ حالٍ ، بشرطِ ألاَ يُحرِّمَ حلالاً أو يُحلِّلَ حراماً . وقد نقضَ النبيُّ ﷺ صُلحاً بين رجلَيْن لأنه خَالفَ حَداً من حدودِ اللهِ ، وقالَ : «كلُّ ما ليس عليه أمْرُنا فهو رَدٌّ». يعني ما يُخالِفُ الإسلامَ يُعتبرُ إنكاراً لشريعتِه وللنصوصِ القرآنيةِ أو الحديثيةِ التي تستندُ إليها تلك الشريعةُ .

ونظراً لأهميةِ الإصلاحِ بَيْن الناسِ أجازَ النبيُّ ﷺ للوَسيطِ المُصلحِ أن يكذبَ . ولكنَّ الكذبَ هنا يحتاجُ إلى حكمةٍ وتحفُّظٍ شديديْن . فالمقصودُ هنا واللهُ أعلمُ أن يتحاشَى المُصلحُ نَقلَ الألفاظِ القبيحةِ التي ربما يتفوَّهُ بها أحَدُ الطرفيْن . وربما يُصوِّرُ الموقفَ في صورةٍ غير مثيرةٍ ، أو مُشجعةٍ على الإصلاحِ ، وبذلك ينشرحُ صَدرُ الرجلِ للصلحِ . ويفعلُ الشيءَ نفسَه مع الطرفِ الثاني . وهكذا يُقرِّبُ بينهما . أما الكذبُ الذي يُغيرُ الحقائقَ والأرقامَ وغيرَ ذلك من عناصرِ الخلافِ فهذا مُحرَّمٌ ، ولا يُفيدُ في شيءٍ . والأصلُ في الإسلامِ أن الكذبَ مُحرَّمٌ ، إلاَّ للإصلاحِ بيْـن النـاسِ ، وفي الحربِ لأنها خُدعةٌ ، وللرجلِ يقولُ الكلمةَ الطيبةَ يُرضِي بها زوجتَه . ولكن يجبُ أن نتذكرَ أن جُهودَ المُصلحِ لن تنجحَ إلا إذا تعاونَ معه الطرفان . وهذا يتطلبُ منا أن نتعلمَ المُياسَرةَ في المُعاملاتِ . فقد يَرضَى الواحدُ منا بحَـلٍ وسَطٍ لا يُعطيهِ حقَّه كاملاً في سبيلِ المحافظةِ على عَلاقتِه مع أخيه أو أُختِه أو شريكِه . وقد نكون على خَطأٍ في فهمِنا لحقوقِنا فنُبالغُ فيها دون وجْه حقٍّ . وصاحبُ الفضلِ هو الذي يتنازَلُ عن بعضِ حقِّه بقصدِ إبقاءِ علاقتِه بالطرَفِ الآخرِ قويةً سليمةً . وهذه العلاقةُ الطيبةُ تساوي الكثيرَ . أما إذا تشدَّدنا وتمسَّكنا بما نظنُّ أنه الحقُّ ، ولم نستجبْ لما يَعرضُه المُصلحون من حُلولٍ ، فإن الإصلاحَ يفشلُ مهما كانت حِكمةُ المُصلحِ . وهكذا ندخلُ في دوَّامةِ التقاضي والدَّعاوَى وتكاليفِها وأتعابِ المحامين ، والقلقِ والانشغالِ بالجلساتِ ، وخَسَارةِ علاقتِنا بالطرفِ الآخَرِ . وذلك هو الخُسرانِ المُبين !

(الدعاء)

آدمُ وزَوْجُه عليهما السلام

● **الغاية من الخطبة** : تصويبُ عقيدة الناس في آدمَ وزوجه عليهما السلام .

● **العناصر الأساسية** :

(١) زوج آدم خُلقَت من آدم ، ومنهما خُلقَت البشرية كلها .

(٢) آدمَ وزوجه كانا في أحسن تقويم ، وكذلك ذريتهما .

(٣) أعطى اللهُ آدمَ وزوجَه وذريتهما حرية الطاعة والمعصية .

(٤) البعض يتهم أمنا الأولى بالباطل بأنها هي التي أخرجت أبانا آدمَ من الجنة.

(٥) واجب المسلم أن يتأدب بأدب القرآن الكريم حين يذكر آدمَ عليه السلام وكذلك زوجه عليها السلام .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء:١) في هذه الآيةِ الكريمةِ يأمرُنا ربُّنا ﷻ بالتقوى ؛ والتقوى هي العملُ بما أمرَ والانتهاءُ عما نهَى ، ثم يُذكرُنا ﷻ بأنه خلقَنا من نفسٍ واحدةٍ ، هي آدمُ عليه السلام ؛ وخلقَ زوْجَ آدمَ منه أيضاً . فهي مِثلُه في الطبيعةِ البشريةِ ، ولكنْ في صيغةٍ أُنثوَيةٍ . وبنو آدمَ جميعاً ، الأسودُ والأبيضُ والأصفرُ والأحمرُ ، كلُّهم لهم طبيعةُ ذلك الأبِ الأول وتلك الأمِّ الأُولى . ويترتبُ على هذه العقيدةِ القرآنيةِ نتائجُ مهمةٌ في تفكيرنا وأعمالِنا . وأولُ تلك النتائجِ أن البشريةَ ترتبطُ فيما بينها بروابطِ الرَّحمِ . والمفروضُ على ذوي الأرحامِ أن يُحسِنَ كلُّ واحدٍ منهم إلى أخيهِ ، كما يُحسِنُ إلى أرحامِه . ولو أننا راعَيْنا هذه الحقيقةَ لارْتفعَ مُستوى سُلوكِنا إلى الأفضلِ ، ولَنَشأَ عندنا مجتمعٌ نموذجيٌّ بحقٍّ ، هو المجتمعُ المسلمُ العظيمُ .

وطالما أن زوجَ آدمَ (عليهما السلامُ) خُلِقتْ منه ، كانت مثلُه في طبيعتِها . فلا يجوزُ لمسلمٍ أن يتحدثَ عن تلك الأُمِّ الأولى الكريمةِ الشريفةِ بأيِّ كلامٍ قبيحٍ . بل يجبُ عليه أن يُسلمَ عليها كلما جاءَ ذِكرُها على لسانِه ، ولا يقولُ في حقِّها إلاَّ ما جاءَ في القرآنِ الكريمِ عنها ، وما جاءَ في أحاديثِ رسولِ اللهِ ﷺ .

(٢) ويعلمُنا ربُّنا ﷻ أنه خلقَ الإنسانَ في أحسَنِ تقويمٍ ، فيقولُ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ (التين:٤) والإنسانُ يشملُ آدمَ وزوجَه ، كما يشملُ ذُريَّتَهما . وكلُّ مَيْزةٍ في طبيعةِ الإنسانِ لا بدَّ أن تُوجَد في آدمَ وزوجِه وذريتِهما . وكلُّ نقصٍ في طبيعةِ الإنسانِ لا بدَّ أن يُوجَد فيهم جميعاً . فقد وَهبَ اللهُ تعالى آدمَ وزوْجَه العقلَ والحواسَّ - من سَمعٍ وبَصَرٍ وشمٍّ وذوْقٍ - ووهبَه جَسداً قادراً على الحركةِ والسَّيْرِ في مناكبِ الأرضِ ، يُفلحُها ويُعمِّرُها . ووَهبَه اليدَ الماهرةَ التي تصنعُ الأشياءَ المفيدةَ الدقيقةَ ، فأنشأَ البيوتَ والمدنَ وصنعَ الآلاتِ والمعدَّاتِ ، ونسَجَ الملابسَ التي تقيهِ الحرَّ والبَردَ . وألَّفَ الكتبَ العظيمةَ التي تحتوي على العلومِ والشرائعِ والآدابِ والفنونِ . فهذا هو نتاجُ التقويمِ الأحسنِ الذي خلقَ اللهُ الإنسانَ فيه - رجالاً ونساءً ، وبذلك فضَّلهم على كثيرٍ من مَخلوقاتِه ، فيقولُ ﷻ ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَـٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَـٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَفَضَّلْنَـٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (الإسراء:٧٠) ولا شك أن هذا التفضيلَ يشملُ آدمَ وزوجَه قبلَ ذُريَّته .

(٣) ومن المزايا التي وَهبَها اللهُ للإنسانِ حريةَ الطاعةِ والمعصيةِ ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ (الكهف:٢٩) وتوعَّدَ الكفارَ بالعذابِ في نارِ جهنمَ ، ووعدَ المؤمنين أحسنَ الجزاءِ في الجنةِ . وقد حدثتْ المعصيةُ من آدمَ وزوْجِه (عليهما السلام) كما حدثتْ الطاعةُ . وبَنو آدمَ بعضُهم يرتفعُ في طاعةِ اللهِ إلى أعلى عِليين وبعضُهم ينحطُّ إلى أسفلِ السَّافلين . فيقولُ ربُّنا ﷻ ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟

ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (التين:٤-٦) ويقولُ ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ (الشمس:٧-١٠) والرجالُ والنساءُ سَواءٌ في حريةِ الطاعةِ والمعصيةِ . وقد ضربَ اللهُ تعالى المَثلَ الأعلى في المعصيةِ والطاعةِ بنساءٍ ذكرَهُن في القرآنِ الكريمِ فقالَ تعالى ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ۝١٠ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١١ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ (التحريم ١٠-١٢) فالمرأةُ مثلُ الرجلِ في الطاعةِ والمعصيةِ ، وقد تصلُ إلى ذِرْوَةِ الطاعةِ ، وقد تنحطُّ إلى أسفلِ درجاتِ المعصيةِ . ونحن نجدُ أسماءَ النساءِ العظيماتِ في تاريخِنا الإسلاميِّ ، على رأسِهنَّ خديجةُ بنتُ خُوَيلِد أمُّ المؤمنين وزَوجُ النبيِّ الأولى رَضيَ اللهُ عنها ، وعائشةُ بنتُ أبي بكرٍ أُمُّ المؤمنين وزَوجُ رسولِ اللهِ ﷺ - رَضِيَ اللهُ عنهن جميعاً . ويَذكرُ القرآنُ الكريمُ أيضاً مَرْيَمَ ابنةَ عِمرانَ ، أمَّ نبيِّ اللهِ عيسى عليهما السلامُ ، وآسِيَةَ امرأةَ فرعونَ التي بَقِيَتْ على إيمانِها على الرغمِ من إغراءاتِ فِرعونَ الشديدةِ وتهديداتِه المُرعِبَةِ المخيفةِ !

(٤) ولكن البعض يتَّهم النساءَ جميعاً بالفسادِ والغِوايةِ والمعصيةِ ، ويَنسِبون إلى أمِّنا الأولى عليها السلامُ إغْوَاءَ أبانا آدمَ لكيْ يَعْصَى اللهَ ، وأنها كانت سَبَبَ خُروجِه من الجنةِ . والقرآنُ الكريمُ لا يقولُ بهذا أبداً ، فآدمُ هو الذي كان ضحيةَ وَساوسِ الشيطانِ . فأكلَ من الشجرةِ وتبعتْه امرأتُه . وفي سورةِ الأعرافِ أن الشيطانَ وَسْوسَ لهما . وخدعَهما الشيطانُ فأكلا من الشجرةِ ، ثم تابَ اللهُ على آدمَ واجْتباهُ . وحُكمُ زَوجِه مِثلُه ، أي أننا نفهمُ من الآياتِ أن اللهَ تعالى تابَ عليها واجْتباها مثلَ زَوجِها . واللهُ تعالى أعلمُ . لكن هناك أخباراً في الكتبِ التراثية تتهمُ

زَوْجَ آدمَ اتهاماتٍ شنيعةٍ باطلةٍ لا أصلَ لها في القرآنِ أو السُّنةِ . وعوامُّ الناسِ يُرددون هذه الاتهاماتِ دون وَعْيٍ ، فيتحمَّلون أوزاراً كبيرةً لأنهم يُسيئون إلى أُمِّ البشريةِ كلِّها عليها السلام .

(٥) فواجبُ المسلمِ أن يتأدَّبَ بأدبِ القرآنِ الكريمِ حين يتحدثُ عن الأنبياءِ عليهم السلامُ . وآدمُ من الأنبياءِ . وزوجُهُ أمُّ البشريةِ . فكيف نسمحُ لأنفسِنا بترديدِ اتهاماتٍ باطلةٍ في حقِّها ؟ هلَ يرْضَى أَحَدُنَا أَن يَتَّهمَ أمَّهُ أو جدَّتَه بالباطلِ؟ إن تلك الاتهاماتِ ذكرَها بعضُ بني إسرائيلَ ، ثم نُقِلَتْ في بعضِ الكتبِ الإسلاميةِ . وقد آنَ الأوانُ للكفِّ عن الإساءَةِ إلى آدمَ وزوجِه . وعلينا ألاَّ نقولَ في حقِّهما إلاَّ ما جاءَ في القرآنِ الكريمِ والسُّنةِ النبويةِ المطهَّرةِ .

(الدعاء)

الوَفَاءُ بالعهْدِ

● **الغاية من الخطبة** : تحذير المسلمين من نَكثِ العهدِ لأنه كبيرة من الكبائر وضرر شديد جداً .

● **العناصر الأساسية** :

(١) أهمية الوفاء بالعهد لانتظام الحياة وتيسيرها .
(٢) الإسلام جعل العهد مع الله تعالى ، والوفاء وفاءً لله تعالى .
(٣) الإسلام أوجب الوفاء بالعهد للمسلم ولغير المسلم .
(٤) القرآن الكريم يسخر من ناكثِ العهد سُخرية شديدة .
(٥) الوعيد لكل مَن ينكث عهده (كاليهود وأصحاب الرجيع . مثالان) .
(٦) الوعد لكل من أوْفَى بعهده بالجزاء الحَسن عند الله في الدنيا والآخرة .
(٧) العهد امتحانٌ ينجح فيه قومٌ ويرسب فيه آخرون .
(٨) أمثلةٌ نادرة لوفاء المسلمين بعهودهم .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) يبيِّنُ القرآنُ الكريمُ في عددٍ من الآياتِ وُجوبَ الوفاءِ بالعهدِ وأهميته لانتظامِ الحياةِ البشريةِ الاجتماعيةِ والتجاريةِ والسياسيةِ والحربيةِ ؛ فيقولُ ﷻ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ ﴾ (المائدة:١) ويقولُ ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ ﴾ (النحل:٩١) وهذه الأوامرُ تفيدُ وُجوبَ الوفاءِ بالعهودِ والعقودِ بكلِّ أنواعِها ، المكتوبةِ والشَّفهيةِ . والرسولُ ﷺ يقولُ : « لا يَصلُحُ لنا في دِيننا الغَدرُ ». ويقولُ أيضاً : « المسلمون عند شروطِهم ». ونكثُ العهودِ يُفسِدُ نظامَ الحياةِ ، لأن الناسَ يعتمدون على وفاءِ بعضِهم لبعضٍ . فإذا تعهَّدَ إنسانٌ لإنسانٍ آخرَ بصَفقةٍ تجاريةٍ ـ مثلاً ـ ثم نكثَ عَهدَه ، فإنه يُسبِّبُ له مشكلةً . وإذا كَثُرَ نَكثُ العهودِ

والوعودِ ، فقد الناسُ الثقةَ بعضُهم في بعضٍ ، فيضْطربُ نظامُ الحياةِ ، ويَشقى المسلمون في مُعاملاتِهم كلِّها .

(٢) ونظراً لأهميةِ الوفاءِ بالعهودِ جعلَ اللهُ الوفاءَ وفاءً معه ﷻ ، وقالَ ﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ﴾ (الأنعام:١٥٢) وقالَ كذلك ﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولاً ﴾ (الإسراء:٣٤) فإذا وَفَّيتَ بعهودِك أيها المسلمُ فأنت تُوفِّي بعُهودِك مع اللهِ تعالى ، وإن كان الطرَفُ الآخرُ شخصاً آخرَ من البَشرِ . وإذا نكثْتَ بعهدٍ فإنك تنكثُ به مع اللهِ تعالى . واللهُ تعالى هو الكفيلُ في كلِّ حَالٍ ، وهو سبحانه القائلُ ﴿ وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً ﴾ (النحل:٩١) فإذا تذكرَ المسلمُ هذه الحقيقةَ الكبرى أدركَ واجبَه وحافظَ عليه ، مهما كانت المُغرياتُ التي تدفعُه إلى نَكثِ العهدِ .

(٣) وقد أوجبَ الإسلامُ الوفاءَ للمسلمِ ولغيْرِ المسلمِ . وهذا دليلُ عظمةِ الإسلامِ . وقد كانت اليهودُ تحترمُ العهودَ فيما بينهم وتستحلُّ نكثَها مع غيرِهم ؛ وقد سجَّلَ القرآنُ الكريمُ عليهم هذه النَّقيصَةَ القبيحةَ وذكرَ قولَهم ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران:٧٥) وكذَّبهم القرآنُ وقالَ ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ (آل عمران:٧٦) وقد احترمَ النبيُّ ﷺ عهدَه مع المشركين يومَ الحُديبيَةِ . وسارَ الخلفاءُ الراشدون على سُنته ﷺ ، فأوفوا بعهودِهم للمسلمِ ولغيرِ المسلمِ . وقد أمرَ أميرُ المؤمنين عمرُ بنُ الخطابِ بالوفاءِ بالعهدِ للفُرْسِ ، على الرغمِ من أنهم فهموا خطأً أن المسلمين أعطوهم أماناً ، ولم يكنْ فهمَهم صحيحاً . وقصةُ العَبدِ مُكَنِّفٍ ـ وكان عَبداً مسلماً ـ وقد أعْطى الكفارَ من أهالي « جُندَيْسَابور » عقداً بهُدْنةٍ ـ على أن يدفعوا الجزيةَ ـ فأقرَّ أميرُ المؤمنين بصحةِ عَقدِه ! ونحن نرى اليومَ للأسفِ الشديدِ كيف تنكثُ الدولُ المتحضرةُ عهودَها وعُقودَها ، ونرى الأفرادَ ينكثون العُهودَ دون إحساسٍ بالإثمِ ودون خجلٍ من تلك الرذيلةِ .

(٤) والقرآنُ الكريمُ يسخرُ من ناكِثي العهودِ سخريةً لاذعةً ، ويتوعَّدُهم العذابَ الأليمَ . فيقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (النحل:٩٢) فالقرآنُ يُشبِّهُ ناكِثَ العهدِ بامرأةٍ من نساءِ مكةَ كانت مُختلةَ العقلِ ، كانت تغزلُ الصوفَ وتنسِجُه ، ثم تنْقُضُه ، فيضيعُ جُهدُها في الغَزلِ والنسيجِ هباءً ! وناكثُ العهدِ يفعلُ فِعْلَ تلك المرأةِ ، فيُبرمُ العهودَ ، ثم يَنقضُها ، فيفقِدُ ثقةَ الناسِ ولا يتعَاملُ معه أحدٌ ، فتفسَدُ حياتُه ، وتتعثَّرُ أعمالُه ويلحَقُه الخُسرانُ والبَوارُ المُبينُ . فنقْضُ العُهودِ معصيةٌ للهِ وخَسارةٌ ماديةٌ دُنيويةٌ .

(٥) ويتوعَّدُ القرآنُ الكريمُ كلَّ مَن ينكثُ عهداً فيقولُ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:٧٧) وقد عانى المسلمون في عهدِ النبيِّ ﷺ عناءً مَريراً بسببِ نكثِ العهودِ من جانبِ المشركين . والقرآنُ الكريمُ يقولُ ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ (الأعراف:١٠٢) كانوا يأتون النبيَّ ﷺ يطلبون إرْسالَ بعضِ علماءِ الصحابةِ ليُعلِّموهم الإسلامَ ، ويتعهَّدون بإكرامِهم وحمايتِهم ، فإذا انفرَدوا بهم قتلوهم ! حدثَ ذلك من قبيلةِ «عَضَلَ والقارَة»، فغَدَروا بعَشرةٍ من خِيرةِ الصحابةِ ﷺ . وحدثَ ذلك من السَّفاحِ «عامرِ بن الطُّفَيل» الذي قتلَ هو وقومُه سبعين شهيداً من الصحابةِ في مكانٍ يسمَّى «بئرَ مَعونَةٍ». ونحن المسلمين في العصرِ الحديثِ عَانينا الكثيرَ من إنجلترا وأمريكا وفرنسا وإيطاليا وروسيا وإسرائيل ، تلك الدولُ التي لا تحترمُ عُهوداً ولا عُقوداً في سبيلِ مصالحِها وأطماعِها الاستعماريةِ . ولكن كثيراً منا نسِيَ واجباتِه وتورَّطَ في نكثِ عهودِه أيضاً.

(٦) والقرآنُ الكريمُ يَعِدُ المسلمَ الذي يُوفي بعهدِه الأجرَ العظيمَ ، فيقولُ اللهُ تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (الفتح:١٠) فالوفاءُ بالعهدِ فضيلةٌ إسلاميةٌ ساميةٌ ؛ والموفون بالعهدِ رجالٌ شرفاءٌ ، يترفَّعون عن نكثِ العهدِ مهما تكُن المُغرياتُ التي تجذبُهم إليه .

(٧) والوفاءُ بالعهدِ امتحانٌ أو ابتلاءٌ من اللهِ تعالى ينجحُ فيه المفلحون ويرسبُ فيه الطمَّاعون . فيقولُ الحقُّ ﷻ ﴿ . . . إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (النحل:٩٢) فبعْدَ إبْرامِ العهدِ أو العقدِ ، تتغيرُ الظروفُ ، ويدركُ الإنسانُ أنه إذا نكثَ عهدَه كان أرْبحَ له ، فعندئذٍ يُقاومُ الرجلُ الصالحُ الميلَ الخبيثَ إلى نكثِ العهدِ ، ويستسلمُ له أهلُ الطمعِ والخِسَّةِ ، ولا يَستحون من نكثِهم !

(٨) والتاريخُ الإسلاميُّ عامرٌ بالأمثلةِ الرائعةِ للوفاءِ بالعهدِ . من ذلك أنَّ «مَطرَ ابنَ فِضَّةٍ» أسَرَ قائدَ الفُرْسِ «جابان» في معركةِ «النمارق». وقد احتالَ «جابان» على «مَطرِ بنِ فِضَّةٍ» حتى أعطاهُ الأمانَ ، وهو لا يعلمُ أنه قائدُ الفُرسِ . فلما علِمَ بعضُ المجاهدين أنه قائدٌ كبيرٌ أرادوا نكثَ العهدِ معه ، خصوصاً أنه احتالَ على «مَطرِ بنِ فِضَّةٍ» وأخفى عنه حقيقةَ مركزه الكبير . لكنَّ قائدَ المسلمين أبو عُبيدٍ ابنِ مسعودٍ رفضَ نكثَ العهدِ رفضاً باتاً وقالَ : «واللهِ لا أغْدرُ ، واللهِ لا أغْدرُ».

● فلْنراجعْ سلوكَنا اليومَ لأننا لم نعُدْ نحترمْ عهودَنا ، إلاَّ مَن رحِمَ اللهُ . وشاعَ نكثُ العهدِ بيننا بصورةٍ وبَائيةٍ ، وبذلك ابتعدْنا عن أخلاقِنا الإسلاميةِ ، وأغضبْنا ربَّنا ﷻ ، على الرغمِ من التهديدِ الشديدِ والوعيدِ المُخيفِ الذي وردَ في القرآنِ الكريمِ . ونحن اليومَ نُعاني من نكثِ العهدِ عناءً مَريراً ، وصَبَغنا المجتمعَ بصِبْغةٍ غيرَ إسلاميةٍ ، ولله الأمرُ من قبلُ ومِن بَعدُ .

(الدعاء)

برُّ المولودين

● **الغاية من الخطبة** : تنبيه الآباء والأمهات إلى واجب البر بأولادهم .

● **العناصر الأساسية** :

(١) « تخيَّروا لنُطَـفِكم » .

(٢) واجبُ الوالديْن نحو الجنين .

(٣) التربية يجب أن تبدأ مبكراً .

(٤) واجبات الوالديْن .

(٥) التحذير من الأبناء الأعداء .

(٦) التربية بالقدوة .

(٧) الصيانة للأولاد .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) يعلمُنا النبيُّ ﷺ أن نختارَ الزوجةَ الصالحةَ ، التقيةَ ، النقيةَ ، ولا نَنخدعَ بالمالِ والجمالِ والحَسَبِ والنسَبِ . فالمرأةُ تُنكحُ لأربعٍ : «لمالِها ولحسَبِها ولجمالِها ولدينِها ، فاظْفرْ بذاتِ الدينِ تَرِبَتْ يداكَ». فالرجلُ الذي يريدُ الولدَ الصالحَ يجبُ أن يحرصَ على الزواجِ من امرأةٍ صالحةٍ ، لأنها هي التي ستُشاركُه في تربيةِ أولادِه . وإلى جانبِ الصلاحِ والدينِ يجبُ أن تكون الزوجةُ صحيحةَ البَدنِ ، والعقلِ والنفسِ . والمرأةُ المسلمةُ أيضاً يجبُ ألاَّ ترضَى بزوجٍ فاجرٍ أو فاسقٍ أو قليلِ الدينِ أو سيئِ الخُلقِ ، ولوْ كان غنياً . ووَليُّ أمرها يجبُ أن يَحْرِصَ على هذه الشروطِ فلا يُزوِّجُ وَلِيَّتَهُ إلاَّ لرجلٍ صالحٍ ديناً وبَدَناً ، عَقلاً ورُوحاً . فهذه هي ضماناتُ نجاحِ الزواجِ ، والأُسسُ التي تُعطينا الأملَ في الولدِ الصالحِ السليمِ البَدَنِ ، وحين يَكبُرُ ، بعَونِ اللهِ وتوفيقِه ، يكونُ تقيًّا بَارًّا بوالدَيْه ، وفَخراً لهما . وأما الطمعُ في مالِ المرأةِ ، أو مالِ

الرجلِ ، والتغاضي عن شروطِ التديُّنِ والصلاحِ ، فلا يَجلِبُ السعادةَ ، ولا يُعطي الأملَ في ولدٍ سليمٍ صالحٍ بارٍّ بوالدَيْه .

(٢) فإذا تمَّ الزواجُ ، وحدثَ الحَملُ ، بدأتْ واجباتُ الأبِ والأمِّ نحوَ الجنينِ . فالأمُّ تأكلُ وتشربُ وتعملُ بحسابٍ ، ولا تنسى لحظةً أنها حاملٌ ، وأن حَملَها يتأثرُ بكلِّ ما تأكلُ وتشربُ ، وبكلِّ ما تتعرَّضُ له من حالاتٍ نفسيةٍ وتوتراتٍ عصبيةٍ وإرهاقٍ بدنيٍّ . ولذلك يتحتَّمُ عليها ألاَّ تتناولَ أيَّ دواءٍ إلاَّ بعد مَشورةِ طبيبٍ ، مهما كانت حاجتُها ماسَّةً للدواءِ . وأما الأبُ فعَليه أن يُعينَ زوجتَه على الحياةِ الهادئةِ المُطمئنَّةِ ، بلا غضبٍ أو انفعالاتٍ عنيفةٍ ، أو عملٍ مُرهقٍ ، أو سفرياتٍ شاقةٍ . ومن أخطرِ الأضرارِ أن يُدخِّنَ الأبُ في حضورِ زوجتِه الحاملِ ، لأنها سوف تُدخِّنُ معه دون إرادةٍ منها ، وهو ما يُسمَّى بالتدخينِ السلبيِّ . وتعاطي الأبِ والأمِ المخدراتِ والخمورِ قبلَ الحملِ خطرٌ مُدمرٌ على النُّطفةِ والعَلقةِ والمُضغَةِ . وقد ثَبُتَ الأثرُ المُدمرُ لصحةِ الجنينِ لدى الأمهاتِ اللاتي يتعاطيْنَ الخمورَ أو المخدراتِ ، والمُدخناتِ أيضاً . والشريعةُ الإسلاميةُ تُحرِّمُ الإضرارَ بالجنينِ وتُحرِّمُ الإجهاضَ لأنه قتلٌ لِنفسٍ حرَّمَ اللهُ قتلَها ، وقد جعلَتْ له دِيَةً عشرةٌ من الإبلِ أو مائةُ شاةٍ .

(٣) فصيانةُ الولدِ الصالحِ تبدأُ من قبلِ الزواجِ باختيارِ الزوجِ الصالحِ ، وتستمرُّ بعد الزواجِ باجتنابِ كلَّ ما يُمكِنُ أن يَضرَّ النطفةَ والعَلقةَ والمُضغَةَ . فإذا رزقَ اللهُ عَبدَه بوَلدٍ ، ذكرٍ أو أنثى ، كان مَندوباً أن يُؤذِّنَ في أُذُنَيْهِ عَقِبَ الولادةِ مباشرةً ، لكي تكونَ ألفاظُ الأذانِ هي أولُ ما يَقرَعُ سَمْعَه من أصواتِ الدنيا . ولعلنا نفهمُ من هذا أن الإسلامَ يُعلِّمُنا أن التربيةَ الإسلاميةَ تبدأُ مبكراً ، وأن أولادَنا يجبُ أن يَسمعوا دائماً أحسنَ الألفاظِ حتى ولوْ لم يكونوا في سِنٍّ تسْمحُ لهم بفهمِها ، ويجبُ أن نحْذَرَ الألفاظَ البذيئةَ والقبيحةَ حتى لا تصلُ إلى أسْماعِهم ، وبخاصةٍ حين يبدأون معرفةَ الألفاظِ ومَعانيها . وفي اليومِ السابعِ يَنصحُنا رسولُ اللهِ ﷺ بأن نذبحَ عقيقةً ،

فيقولُ : « كلُّ غلام مُرْتَهنٌ بعقيقةٍ تُذبَحُ عنه يومَ سابعِه ، ويُماطُ عنه الأذى». ويقولُ أيضاً : « لا أُحِبُ العُقوقَ ، ومَن وُلِدَ له وَلَدٌ فأحَبَّ أن يُنسِكَ عن وَلدِه فلْيفعلْ». هذه العقيقةُ على القادرِ وَحدَه ، و﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ (البقرة:٢٨٦) ونفهمُ من هذا أنَّ العبدَ في حاجةٍ ماسةٍ دائمةٍ لعَونِ اللهِ تعالى له ؛ ولذلك يتوسَّلُ إليه بالعملِ الصالحِ ليُعينَه في تربيةِ ولدِه ليكونَ صالحاً تقياً باراً لا عاقّاً .

(٤) والإسلامُ الحنيفُ يحوطُ الأولادَ بسياجٍ من العنايةِ ، ويُقنِّنُ ذلك في هيئةِ واجباتٍ يُلقيها على عاتقِ الأمِّ والأبِ . فيقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (البقرة:٢٣٣) وهذه الواجباتُ محددةٌ ومُفصَّلةٌ ، سَواءً في مرحلةِ الرَّضاعةِ ومرحلةِ الحضَانةِ . في حالِ وُجودِ الوالدَيْنِ أحياءً ، وفي حالةِ وفاةِ أحدِهما أو كِليهِما . والغايةُ العظيمةُ لذلك هي استمرارُ التربيةِ الإسلاميةِ للأولادِ ، لإنشاءِ أجيالٍ مسلمةٍ صالحةٍ قادرةٍ على تحمُّلِ المسئولياتِ الفرديةِ والاجتماعيةِ الدينيةِ والوطنيةِ .

(٥) ويُحذرُنا القرآنُ الكريمُ من الأولادِ الأعداءِ . فيقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التغابن:١٤) فالأزواجُ والأولادُ يُمكنُ أن يكونوا أعداءً لآبائهم . الزوجُ قد يُصبحُ عدواً لزوجتِه والزوجةُ قد تُصبحُ عدوةً لزوجِها . ويقولُ المفسرون إن العداوةَ لها صُورٌ وأشكالٌ عديدةٌ . فالأولادُ قد يُغرون والدَهم على ممارسةِ التبذيرِ ، واللهُ تعالى يقولُ ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ (الإسراء:٢٧) وقد يضطرونَه مع كثرةِ الإلحاحِ والاعتراضِ إلى قطعِ صِلةِ الرَّحمِ ، أو الظلمِ ، أو غير ذلك من صُورِ العَداوةِ التي تجلِبُ غضبَ

اللهِ تعالى وغضبَ الناسِ أيضاً . والوالدان يحبان أولادَهما ـ ذكوراً وإناثاً ـ ؛ فالأولادُ فتنةٌ كما قالَ اللهُ تعالى ﴿ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ (الأنفال:٢٨) وهذا فشلٌ كبيرٌ للوالدَيْن : أن يصبحَ أولادُهما لهما أعداءً ، بدلاً من أن يكونوا لهما أعواناً على الخيرِ والصلاحِ والتقوى . وسببُ ذلك الفشلِ هو عدمُ مُراعاةِ قواعدِ الاختيارِ ، والجري وراءَ الثروةِ ، وإغفالِ شروطِ التدينِ وحُسنِ الخُلقِ ، وكذلك عدمِ احترامِ قواعدِ التربيةِ الإسلاميةِ .

(٦) والقرآنُ الكريمُ يُعلمُنا كيف نتصرفُ حين نلمَسُ مظاهرَ العداوةَ من الزوجةِ أو من الأولادِ ، فيقولُ في الآيةِ نفسِها ﴿ . . . وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (التغابن:١٤) والعَفوُ تركُ المؤاخَذةِ على ذنبٍ ؛ لكنَّ للعفوِ شروطاً ، منها أن يعترفَ المذنبُ بذنبِه أو خطئِه أو إساءتِه ، ويعتذرَ عنه ، ويتعهدَ بأن لا يعودَ إليه مرةً أخرى . فالأبُ المُحبُّ لأولادِه يعلمُهم هذه الشروطِ ، فإذا عمِلوا بها عفا عنهم وغفرَ لهم . أما مُواجهةُ الخطأِ من الابنِ أو البنتِ بالغضبِ والتهديدِ ، والخُصومةِ ، فربما تؤدِّي إلى تفككِ العلاقةِ الأُسريةِ التي نحرصُ على تقويتِها . والمسألةُ تحتاجُ إلى الحِرصِ الشديدِ في اختيارِ الزوجةِ ، والزوجِ ، ومُمارسةِ التربيةِ الإسلاميةِ بكلِّ جدِّيةٍ ، لكيلا نصلَ إلى هذا الموقفِ الصعبِ ـ موقفِ العداوةِ بين الأبِ وأولادِه وزوجتِه . أما إذا أهملنا التربيةَ ، وتركنا أولادَنا بدونِ توجيهٍ ، فإنَّ الفشلَ سيكونُ نتيجةً حتميةً ، كما نرى الآن في بيوتٍ كثيرةٍ للأسفِ الشديدِ .

(٧) ولْيعلمِ الآباءُ والأمهاتُ أن التربيةَ تكونُ بالقدوةِ أكثرُ مما تكونُ بالكلامِ . وعلى ذلك يجب أن يتكلمَ الأبوَيْن بحسابٍ أمام أولادِهم ، ويجب أن يحترما قواعدَ الأخلاقِ ، وتعاليمَ الدينَ أمامَ الأولادِ ، حتى إذا سَمَحا ببعضِ التصرفاتِ والألفاظِ غيرِ اللائقةِ في غَيبَتِهم . ويجبُ أن نقدِّمَ لأولادِنا القُدوةِ الحسنةِ من الأقاربِ والجيرانِ والأصدقاءِ ؛ وحين يكبرون ويعرفون القراءةَ يجبُ أن نقدمَ لهم

سيرةَ النبيِ ﷺ في كتبٍ مُبسَّطةٍ ، وكذلك سِيَرِ الصحابةِ والأبطالِ والعلماءِ . وكذلك عليهم أن يقرأوا قصصَ الأنبياءِ كما جاءَت في القرآنِ الكريمِ . وهذه الكتبُ موجودةٌ ، والأولادُ يحبون القصصَ ، وستكونُ النتائجُ طيبةً بإذنِ اللهِ .

(٨) ولا بدَّ من اليقظةِ لكي نُبعدَ عن أولادِنا الرواياتِ الساقطةِ ، والتافهةِ ، التي تقدمُ لهم القدواتِ السيئةِ . والسوقُ مليئةٌ بهذه الرواياتِ ، بالإضافة إلى الأفلامِ والمسلسلاتِ والمسرحياتِ الهابطةِ التي تُمطرُنا بها المحطاتُ الفضائيةُ . فالوالدان مسئولان عن حراسةِ الأولادِ من تلك المحطاتِ التي تُخرِّبُ التربيةَ وتهدِمُ مَجهودَهما والله تعالى يقولُ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ﴾ (التحريم:٦) فواجبُ الصيانةِ يُكمِّلُ واجبَ التربيةِ ، كالزارعِ يزرعُ ، ويعملُ على وقايةِ زرعِه بإبادةِ الحشراتِ الضارةِ ؛ وإذا زرعَ ولم يُقاومْ الحشراتِ والنباتاتِ فلا ينتظرْ محصولاً طيباً . ويدخلُ في الصيانةِ مُتابعةُ الأولادِ في مدارسِهِم ودُروسِهم ، والاتصالُ بالمدرسةِ دائماً للتعاونِ على التعليمِ بالقدوةِ ، وعلى الصيانةِ والوقايةِ .

(الدعاء)

عِلمُ الغَيْبِ للهِ وَحْدَه

● **الغاية من الخطبة** : تصحيح عقيدة العَوَام في علم الغيب وتصديقهم للمنجِّمين .

● **العناصر الأساسية** :

(١) شيوع مَزَاعِم باطلة عن أُناس يعلمون الغيب ، يروِّجها كُتَّاب وصحافيون .

(٢) القرآن الكريم يؤكد أن علم الغيب لله وحده .

(٣) الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم لا يعرفون الغيب ، إلا ما علَّمهم الله .

(٤) والملائكة لا يعرفون الغيب .

(٥) والجنُّ لا يعرفون الغيب .

(٦) تصديقُ العرَّافين من الكبائر في حُكم الإسلام .

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى في وَصْفِ ذاتِه العَلِيَّةِ ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن:٢٦،٢٧) هذه هي عقيدتُنا الإسلاميةُ التي لا يجوزُ أن يَرتابَ فيها مسلمٌ أو يَحيدَ عنها في اعتقادِه ، أو يُشوِّشَ عليها كلامٌ يقرأُه أو يَسمعُه . لكنَّ الواقعَ غير هذا . فكثيرٌ من المسلمين يُصدِّقُ المُنجِّمين ، ويذهبُ إلى العرَّافين ؛ والصُحفُ اليوميةُ تنشرُ باباً ثابتاً لما يقولُه المنجِّمون ، وكثيرٌ جداً من القُرَّاءِ يُواظِبُ على قِراءتِه ، وكلما حدثَ له شيءٌ قالَ إنه تحقيقٌ لِما قرأه في بابِ النجومِ والحظِّ ! ولا يقتصرُ الأمرُ على العَوامِ والجُهَّالِ ، بل يتعدَّاهم إلى الطبقةِ المتعلمةِ تعليماً عالياً . وبعضُ كُتَّابِ الصُحفِ يروِّجون للمنجمين ، ويؤكدون للناسِ أنهم صادقون .

- وهكذا نرى كيف شوَّشَ هؤلاءِ الضالُّون المُضَلِّلون على عقيدتِنا الإسلاميةِ العظيمةِ ، وكيف توَرَّطَت في تلك الكبيرةِ أعداد لا حَصرَ لها من أبناءِ الإسلامِ . فكان من الواجبِ علينا أن نتصَدَّى لها ونُبيِّنَ لهم زيفَها ، ونُبرزَ عقيدَتَنا الإسلاميةَ الحقَّةَ التي تَقينا من خُرافاتِ المُنجمين وشَعوَذةِ العرَّافين .

(٢) والقرآنُ الكريمُ يؤكدُ بما لا يَدَعُ مجالاً للشكِّ أنَّ عِلمَ الغَيبِ للهِ وحدَه . فيقولُ ﷻ ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ (الأنعام:٥٩) ويقولُ ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴾ (الرعد:٨،٩) هذه الآياتُ الكريماتُ تؤكدُ لنا أن عِلمَ الغَيبِ للهِ وحدَه ، وتبعاً لهذا يَثبُتُ بُطلانُ كلِّ المَزاعِمِ الشائعةِ التي تنسِبُ عِلمَ الغَيبِ للمُنجمين والعرَّافين . والمسلمُ ليس أمامَه سِوى تصديقِ آياتِ اللهِ تعالى التي يُؤيدُها العِلمُ الحديثُ ، والفِكرُ السديدُ والتجاربُ المُشاهَدَة .

- وقد أجريْتُ تجربةً يسيرةً جداً ، يستطيع كلُّ إنسانٍ أن يُجريها ، فتابَعْتُ بابَ النجومِ في صحيفةٍ يوميةٍ لمدة شهرٍ ، فلم تَصْدُقْ له كلمةٌ واحدةٌ ! وفي ذلك الشهر وقعَتْ لي أشياءُ كثيرةٌ مُهمةٌ ، لكنه لم يَذكُرْها في أيِّ يومٍ من أيامِ الشهرِ !

(٣) ويُعلِّمُنا القرآنُ الكريمُ أن الأنبياءَ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهم لا يعلمون الغَيبَ . وفي هذا يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ﴾ (الأنعام:٥٠) ويقولُ ﴿ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأعراف:١٨٨) .

- لكنَّ الله تعالى أظهرَ أنبياءَه على بعضِ الغيبِ ، ليكونَ لهم مُعجزةً لدى أقوامِهم . مِن ذلك مثلاً قِصَصُ الأنبياءِ السابقين التي قصَّها القرآنُ الكريمُ على

النبيِّ ﷺ . ففي سورةِ «هودٍ» قصَّ القرآنُ قصةَ نوحٍ عليه السلام وقومِه وابنِه ، والسفينةِ ، والطوفان ، ثم قالَ ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (هود:٤٩) وكلُّ ما جاءَ في القرآنِ الكريمِ من صفاتِ اللهِ تعالى ، والحسابِ ، والصراطِ والميزانِ ، والملائكةِ ، والجنةِ والنارِ ، إنما هو من الغيبِ الذي أظهرَ اللهُ نبيَّه عليه ، وعرفتْه الأمةُ المسلمةُ من كتابِ اللهِ تعالى . ولم يعرفْ النبيُّ ﷺ هذه الغيبياتِ بقوةٍ عقليةٍ أو رُوحيةٍ لدَيْه ، بل عن طريقِ جبريلَ عليه السلام . وعن أُمِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها قالت إن : «مَنْ زعمَ أن رسولَ اللهِ ﷺ يُخبرُ بما في غَدٍ فقد أعظمَ على اللهِ الفِريَةَ». وكلُّ ما جاءَ به الأنبياءُ من علمِ الغيبِ إنما هو وَحيٌ أظهرَه اللهُ تعالى لهم .

(٤) والملائكةُ الكرامُ لا يعلمون الغَيبَ أيضاً . وفي هذا يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ (البقرة:٣١،٣٢) فكلُّ عِلمُ الملائكةِ من تعليمِ اللهِ لهم . إن الإنسانَ مُزوَّدٌ بقوًى تُمكِّنُ له من تحصيلِ بعضِ العلومِ ، لأنه في حاجةٍ إليها . لكنَّ عُلومِ الملائكةِ كلُّها تعليمٌ من اللهِ ، كما جاءَ في الآيةِ السابقةِ على ألْسنتِهم .

(٥) والجنُّ لا تعرفُ الغَيبَ . والدليلُ على ذلك ما جاءَ في القرآنِ الكريمِ عنهم عند مَوتِ نبيِّ اللهِ سُليمَانَ عليه السلام . فقد سخَّرَ اللهُ له الجنَّ ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ (سبأ:١٤) والظاهرُ أنَّ بعضَهم كان يُشيعُ أنهم يعلمون الغيبَ ، فدبَّرَ اللهُ تعالى مَوتَ سُليمان على ذلك النحوِ ليُبيِّنَ للجميعِ أنهم لا يعلمون الغيبَ ، ولذلك لم يعرفوا أنه ماتَ إلاَّ بدليلٍ مَحسوسٍ مُشاهَدٍ ، وهو سقوطُ جَسَدِه عليه السلام . وفي آيةٍ أخرى يَعترفُ بعضُ الجنِّ بأنهم لا يعرفون المستقبلَ ، وهو غَيبٌ . وقد قالوا ﴿ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن

فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴾ (الجن: ١٠) وذلك حين سَمِعوا القرآنَ الكريمَ يُتلى ، وقالوا ﴿ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴾ (الجن ٢،١) فهؤلاء هم الجنُّ الذين آمنوا بالإسلامِ والقرآنِ ، يُقرّون بعَجزِهِم وضَعفِهم ، وعِلمِهم القاصِرِ المَحدودِ .

(٦) **وإذا كان الجنُّ ، والملائكةُ ، والأنبياءُ ، وسائرُ خلْقِ الله لا يعلمون الغيبَ ، كما يؤكدُ القرآنُ الكريمُ ذلك ، فكيف نُصدِّقُ ما يُقالُ عن العرَّافين والمنجمين ، ونذهبُ إليهم ، ونُقدِّمُ إليهم النقودَ والهدايا والإتاواتِ الثمينة ، لكي يُخبرونا بعلمِ الغَيبِ الذي اختصَّ اللهُ تعالى به ذاتَه العَليَّة ؟** ! إننا في الحقيقةِ نستأجرُهم لكي يَكذِبوا علينا ويُضَلِّلونا . وأخطرُ من ذلك أننا نَقتَرفُ كبيرةً من أعظمِ الكبائرِ ، لأننا بذهابِنا إلى المُنجِّمِ نعترفُ له بأنه يَعلمُ الغَيبَ ؛ أي نعترفُ له بصِفةٍ من صِفاتِ اللهِ تعالى ، ونخَالِفُ كلَّ الآياتِ والأحاديثِ التي تنهَى عن ذلك ! مثالُ ذلك قولُ النبيِّ ﷺ : «مَن أتَى عَرَّافاً لم تُقبَلْ له صلاةٌ أربعين يوماً !» فمَن ذا الذي يَرضَى لنفسِه بعَدَمِ قَبولِ الصلاةِ أربعين يوماً ؟

- ثم إن المنجِّمَ لا يُفيدُنا بأيِّ علمٍ . فهو كذَّابٌ مُحتالٌ . وهو يُضَلِّلُنا ويَصرفُنا عن الطريقِ السليمِ لحلِّ مُشكلاتِنا إلى طريقٍ مَسدودٍ يُوهِمُنا به .

- إننا باتِّباعِ المنجمين والعرَّافين نَنحدرُ إلى مستوىً فِكريٍّ مُنحَطٍّ ، في حين أن دينَنا العظيمَ يَحفَظُ لنا المنهجَ العلميَّ السليمَ في مواجهةِ المشكلاتِ . وكان سَلَفُنا الصالحُ يرفضون ادِّعاءاتِ المنجمين ، ويُصرُّون على مَعرفةِ الحقائقِ ، ويَبنون على أساسِها مَشروعاتِهم وتصرُّفاتِهم . فكيف ننحدرُ إلى هذه الهاويةِ في هذا العصرِ الذي يُوصَفُ بأنه عَصرُ العلمِ والمعلوماتِ الوثيقةِ ؟ !

(الدعاء)

النبيُّ ﷺ والمؤمنون
الأُسوة الحَسنة للمجتمعِ المسلمِ

● **الغاية من الخطبة** : تقديم المعالم الأساسية للمجتمع المسلم كما تمثلت في المجتمع المسلم في عهد النبوة ، ليكون القدوة والأسوة الحسنة لنا اليوم .

● **العناصر الأساسية :**

(١) نبي رحيم بالمؤمنين .

(٢) يعفو عن مذنبهم .

(٣) وكانوا يطيعونه .

(٤) وكانوا يثقون فيه ويحبونه .

(٥) ماذا نتعلم من تلك الأخلاقيات الإسلامية ؟

(بعد حمد الله تعالى والثناء عليه)

(١) يقولُ الحقُّ تباركَ وتعالى ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾ (آل عمران:١٥٩) فكان رسولُ اللهِ ﷺ هو المَثلُ الأعلى في اللِّينِ للمؤمنين ، وفي رقةِ قلبِه وعَطفِه عليهم ، وفي البراءةِ من غِلْظةِ القلبِ والفظاظةِ في معاملتِهم . ولذلك الْتفُّوا مِن حَولِه ، واجتمعوا عليه ، على الرغمِ من فداحةِ الثمنِ الذي دفعوه ثمناً لذلك . والقرآنُ الكريمُ يطلبُ إليه ﷺ أن يعفوَ عن المُسيءِ منهم ، وأن يستغفرَ للمُذنبِ من بينهم ، وأن يُشاورَهم في الأمورِ التي تهمُّهم في دينِهم ودنياهم . وقد كانوا . هم على وَعْيٍ بما تجوزُ فيه المشاورةُ من الأمورِ ، وبما

لاتجوزُ فيه . وكانوا يسألونه ﷺ إن كان الأمرُ يحتملُ الرأيَ ، فيُبدون آراءَهم ويشيرونَ عليه ، أو أنَّ في الأمرِ حُكماً من عندِ اللهِ تعالى ، فلا يكونُ فيه مجالٌ للمَشورةِ والرأيِ ، فيسْمعون ويُطيعون .

(٢) ولقد حدثَ أن كتب «حاطبُ بنُ أبي بَلْتعَة» رسالةً سريةً إلى قريشٍ يحذرُهم من غَزوِ الرسولِ ﷺ لهم ، وأرْسلَها مع امرأةٍ إلى مكةَ المكرمةِ . واكتُشِفَتِ الرسالةُ ، على مَشارفِ المدينةِ المنورةِ ، وثبتتْ الخيانةُ العُظمَى على ذلك الصحابيِّ البَدْريِّ الكبيرِ ، وكانت العقوبةُ الشرعيةُ هي القتلُ . لكنَّ حاطباً اعترفَ بجريمتِه واعتذرَ عنها . فعفَى النبيُّ ﷺ عنه تقديراً لجهادِه يومَ بَدْرٍ ، وتقديراً لظروفِه ، واعترافِه ، واعتذارِه . وهكذا تجسَّدَ لِينُ النبيِّ ﷺ ورحمتُه بأصحابِه . وذلك مَسْلكٌ لا يسلُكهُ إلا نبيٌّ رحيمٌ .

- وقصةُ «أبي لُبابة بنِ عبدِ المُنذر»، يومَ قريظةَ مثالٌ آخرَ على سَعةِ عَفوِ رسولِ اللهِ ﷺ ورحمتِه بالمؤمنين . فقد طلبَ بنو قُريظةَ ، وهم قبيلةٌ من اليهودِ ، كانت على عهدٍ مع رسولِ اللهِ ﷺ ، ثم خانتْه ونقضَت عهدَها معه في أحلَكِ أوقاتِ الحصارِ الذي فرضَه المشركون على المدينةِ في أثناءِ معركةِ الخندقِ ، طلبوا إرسالَ أبي لُبَابةَ إليهم ليستَشيروه في أمرهِم ، فأرسلَه النبيُّ ﷺ إليهم . فسألوه وهم يبكون : أترَى أن ننزلَ على حُكمِ محمد ؟ فقالَ : نعم ، وأشارَ بيدِه إلى حَلْقِه كِنايةً عن الحُكمِ بقتلِهم . وكانت تلك خيانةً للنبيِّ ﷺ . فما كان له أن يُفشِيَ سِرَّ النبيِّ ، وبذلك يحثُّ الأعداءَ على المُقاومةِ حتى آخرَ رَمَقٍ ، مما يكلِّفُ المسلمين الكثيرَ من الشهداءِ . وقد عرفَ أبو لبابة خيانتَه ، فاتجهَ من فَورِه إلى المسجدِ وقيَّدَ نفسَه في أحدِ أعمدتِه . ولما علِمَ النبيُّ ﷺ بذلك قالَ : «أما إنه لو جاءَني لاستغفرتُ له ، فأما إذْ قد فعلَ ما فعلَ ، فما أنا بالذي أُطلقُه من مكانِه حتى يتوبَ اللهُ عليه». ونزلَ قولُ اللهِ تعالى بالتوبة فأطلقَه رسولُ اللهِ ﷺ بيدِه الشريفةِ .

- وقصةُ «وَحْشِيٍّ» العبدِ الذي قتلَ حمزةَ بنَ عبد المطلبِ ـ عمَّ رسولِ اللهِ ﷺ يومَ «أُحدٍ» ـ مثالٌ ساطعٌ على المدَى البعيدِ لعَفوِ النبيِّ ﷺ وتسامحِه . فحين جاءَ

إلى رسول اللهِ مسلماً لم يتعرَّضْ للأذى ، غيرَ أنَّ النبيَّ ﷺ أمرَه ألاَّ يُرِيَه وجهَه ! ويُذكَرُ أن « وحَشياً » حافظَ على طاعةِ النبيِّ فلم يُرِيَه وجهَهُ . وقد أبْلى في الإسلامِ بلاءً حسناً حين قتلَ مُسيلمةَ الكذابَ أو شاركَ في قتلِه . لكنَّ « وحشياً » أدمنَ الخمرَ ، وضُربَ الحدَّ غيرَ مرةٍ ، حتى قالَ عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ : « قد علمْتُ أن اللهَ تعالى لم يكنْ ليدَعَ قاتلَ حمزةَ ». وحاولَتْ « هند » امرأةُ أبي سُفيانَ بنِ حَرْبٍ أن تأكلَ كَبِدَ حمزةَ ﷺ ، لكنها لفَظَتْه . ولما أسلمَتْ عفا عنها النبيُّ ﷺ .

- وشيءٌ قريبٌ من هذا حدثَ لعِكرمَةَ بنِ أبي جَهلٍ الذي كان مِن أعْدَى أعداءِ النبيِّ والمسلمين ، والذي قاتلَ ضد المسلمين وألْحقَ بهم أذىً كثيراً ، ثم ارْتحَلَ إلى اليمنِ فراراً من النبيِّ ﷺ بعد فتحِ مكةَ . وقد أسلمَ وغفرَ له النبيُّ كلَّ ذنوبِه ، وصارَ من أبطالِ الإسلامِ المَرموقين .

(٣) وكان المؤمنون يُطيعونه ﷺ ، كما أمرَهم اللهُ تعالى وقالَ ﴿ . . . وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (آل عمران:١٣٢) وقالَ ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ (النساء:١١٥) وإذا حدثَ أن عَصاهُ أحدُهم فإنه كان يَرْفُقُ به ، كما حدثَ من الرُّماةِ الذين تركوا موقعَهم يومَ أُحدٍ وتسبَّبوا في هزيمةِ المسلمين ، تطبيقاً لقولِ اللهِ تعالى ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾

(الشعراء:٢١٥)

- عرفَ المؤمنون جيداً أن عليهم طاعةَ رسولِ اللهِ ﷺ فرْضاً واجباً . فلم يكنْ أحدُهم يستجيزُ لنفسِه أن يتركَ النبيَّ ويذهبَ لقضاءِ مصالحِه إلا بعدَ أن يأذنَ له ، وذلك هو الانضباطُ في صورتِه المثاليةِ ، والطاعةُ في صورتِها التامةِ ، واللهُ تعالى يأمرُ المؤمنين فيقولُ ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ﴾ (النور:٦٢) والآياتُ التي تأمرُنا بطاعةِ الرسولِ ﷺ عديدةٌ ، والأحاديثُ النبويةُ التي تحذرُنا من معصيتِه أكثرُ عدداً .

(٤) وكانت طاعةُ المؤمنين للنبيِّ ﷺ عن رضاً وحبٍّ وثقةٍ . والأمثلةُ كثيرةٌ ، لكننا نختارُ واحداً منها كنموذجٍ للطاعةِ والحبِّ والثقةِ التامةِ ، وهو إجابةُ زعماءِ المهاجرين والأنصارِ قُبيلَ معركةِ بَدرٍ حين أرادَ النبيُّ ﷺ الاستيثاقَ من عزيمةِ الأنصارِ على قتالِ قريشٍ . قالَ سعدُ بنُ مُعاذٍ ﷺ : «والذي بعثَكَ بالحقِّ لو استعرضْتَ بنا هذا البحرَ فخُضْتَه لَخُضْناهُ معك ، ما تخلَّفَ منا رَجلٌ واحدٌ ..» إلى كلامٍ آخر عَبَّرَ به أجْلى تعبيرٍ عن الثقةِ والطاعةِ والعزيمةِ على الجهادِ . وحين جاءَتْ قريشٌ المُشركةُ بالصحابيِّ الجليلِ زيدِ بنِ الدَّثِنَّةِ ليقتلوهُ ، سألَه أبو سُفيانُ ابنُ حَربٍ قائلاً : «أتحبُّ أن مُحمداً عندَنا الآن في مكانِك ـ مَشدوداً إلى خَشَبَةٍ لِيُقتَلَ ـ وأنك في أهلِك ؟ فردَّ زيدٌ دون تردد : «واللهِ ما أُحبُّ أن مُحمداً الآن في مكانِه الذي هو فيه تُصيبُه شَوكةٌ تُؤذيهِ وأنا جالسٌ في أهلي !»

(٥) هذه الأخلاقياتُ الرفيعةُ التي سَادتْ بين النبيِّ ﷺ والمؤمنين هي التي يجبُ أن تسودَ بيننا الآن . فيجبُ علينا أن نُطيعَ الرسولَ ﷺ باتِّباعِ سُنتِه بأقصى ما نستطيعُ ، فنعملَ بما تأمرُنا به وننتهي عما تنهانا عنه . وعلينا أن نتراحَم فيما بيننا : فيعطِفُ الكبيرُ على الصغيرِ ، ويَرفُقُ القويُّ بالضعيفِ ، كما يجبُ أن نتعلمَ كيف نعترفُ بأخطائنا وأن نعتذرَ عنها في شجاعةٍ لكي نفوزَ بعَفوِ الذين نسيء إليهم . فإننا لو فعلنا ذلك لَتغيَّرَتْ حياتُنا إلى الأفضلِ ، وصِرْنا أهلاً لمَرضاةِ اللهِ في الدنيا والآخرةِ ﴿ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ (المطففين:٢٦).

(الدعاء)